> قبل الاسترسال في هذه الموضوعة، وفي هذا السياق، يجب تأشير ما نقصده بكلمة مثقف من دون إسهاب، على الرغم من أهمية الإسهاب بهذا الصدد. غير أن المراد هو تحديد أي مثقف نعني؟ وباختصار نقول، إن المقصود بكلمة مثقف ها هنا، في هذا السياق، وفي ضمن هذا المقال، هو ذلك الفاعل الإجتماعي الحامل لمفاهيم وقيم ليبرالية، أو يسارية ديمقراطية وعلمانية، والمروِّج لها، من خلال خطاب متبلور مطروح، أو قابل للطرح، والباحث له، داخل كيان المجتمع، عن وظيفة سياسية ذات أفق معرفي، مدني وحضاري.

إخفـــــاق المـــثقـفـــين

سعد محمد رحيم

في دوامة من التغيرات المهولة، ومن الفوضى السياسية يجد المثقف العراقي نفسه مصدوماً وعاجزاً ومتورطاً.. مصدوماً أولاً بفعل الحراك السياسي، غير المسبوق، وغير المنضبط الذي بات يسم الحياة السياسية العراقية. ففي خضم تراكم المعطيات بصورها المتداخلة والمتناقضة، وسرعة تبدل ملامح هذه الصور، وتلاشيها أحياناً في مواجهة تدفق وهجمة صور أخرى، والسرعة التي يجري فيها إفراز تلكم المعطيات، إلى جانب التنوع الذي يكاد يكون لانهائياً للموجهات المتحكمة بها، والمتفاعلة معها وفي إطارها، في الظاهر وتحت السطح.. نقول؛ في خضم ذلك التراكم والتسارع يقف المثقف العراقي عاجزاً عن استيعاب وفهم ما يجري حقيقة، والوقوع على مجمل الدوافع والمفاعيل والتمظهرات بسبب أن ما يجري لا يصمد أمام معاييره وتصوراته التي اكتسبها وكونها عبر سنوات نشأته منذ صعود العسكريتاريا الريفية إلى كرسي الحكم، وتسيد الفاشية التي دمرت مقومات المجتمع المدني الغض، حتى السقوط التراجيكوميدي لتمثال صدام حسين في ساحة الفردوس قبل سنتين. ولقد تكشف إزاء ناظري المثقف بعض من الأنساق المضمرة لاختلالات اجتماعية وأخلاقية أصابته بالرعب والذهول. وقد أدرك متأخراً جداً أنه لم يكن له تأثير في واقعه إلاّ بنسبة ضئيلة قياساً تأثير المؤسسات التي حسبها متوهماً عاجزة أو ميتة، وإن الزمن تجاوزها.. فالمثقف العراقي يصطدم اليوم بمعطيات مفاجئة لم تكن لتخطر على باله، ولم يحسب يوماً حسابها.. إنه الآن في عالم لم يعد يفهمه تماماً.. عالم يكاد جزء مهم منه يكون خارج سيطرة وعيه، وأخشى ما أخشاه أن تتدهور بنية هذا الوعي، وأن يستسلم معه المثقف إلى اليأس والعدمية. فلا يوشك - المثقف -أن يصل إلى قناعة ما، وهو يواجه المتغيرات الحاصلة في محيطه، إلاّ ويبدلها بقناعة أخرى-مناقضة ربما-إذا ما ظهرت له معطيات أخرى. فما يجري معه وحوله لهو أكبر من عدته المفهومية التي استحصلها خلال سنوات تربيته الثقافية، وأعقد من أن يحيط به منهجه، وقدرته على الاستبصار والتحليل. وما زال كثر من المثقفين لا يستطيعون أن يدركوا حقيقة أنهم يعيشون سياقاً سياسياً ومن ثم اجتماعياً وثقافياً غير ما عاشوه في العقود المنصرمة، حيث كان للخطاب السياسي منطق مختلف ، وكذلك الأمر بالنسبة للخطاب الثقافي. فمفاهيم ومقولات ومعايير عصر الحرب الباردة هي غيرها في عصر العولمة. وما كان يصح في ظل الدولة الشمولية ذات الطابع الفاشي، قد لا يصح بعضه أو كله، بعد تفكك وانهيار تلك الدولة.

طالب إدوارد سعيد المثقف أن يكون أحياناً معكراً للصفو العام. وهنا يجب أن يكون ثمة صفو عام ليتم تعكيره في ضوء وظيفة من وظائف المثقف. ولكن ماذا لو كان الصفو العام نفسه معكراً.. هل ستنقلب حينئذ وظيفة المثقف تلك لتستبدل بالعمل لإعادة الصفو للجو العام المعكر؟. قد يبدو هذا التخريج ساخراً على نحو ما، ومتهكماً وغير جاد، لكنه في وضع كوضعنا العراقي . المعكر أصلاً ، ربما انطوى على مسوغات معقولة..

من يعيد الصفو إذن؟. أهو السياسي المحترف الذي تهيأ ليصطاد في الوضع العكر؟، إذ ماذا يفعل حين لن يعود الوضع عكراً؟. أم هو المثقف المصدوم أمام هول الواقع، والمتورط في الفضاء العكر من دون دربة، أو دراية لازمة؟.

إن ما يجري حوله - أي المثقف - يجعله على الدوام في حالة من الدوار، وفي حيرة من أمره، فأولاً يجد نفسه غير فاعل وغير مؤثر بالمرة.. سلبياً إلى حد بعيد، غير مشارك، حتى في ما يحدث في مجاله الثقافي، فبعد أن غادر مشاريعه القديمة لم يعد في جعبته سوى أن يطرح الأسئلة، ويتعامل مع افتراضات صعبة قد تسد له فجوات وثغرات معتمة من صورة الواقع، فهو واقع غير قابل للنمذجة البسيطة، ولن تفيه أية خارطة مسطحة حقه. فالمثقف مصدوم لأن الأمور لم تسر حسبما أراد وحسبما حلم، ولأن ما حصل فيه كثير من الغموض والالتباس، وهو غير قادر على فهمه بشكل يتيح له أن يصدر حكماً موضوعيا، نهائياً عنه.

إن الشعور بالإحباط يغلب اليوم على شريحة المثقفين، وقد عبر أحد أبرز مثقفي القطر في حوار معه في جريدة المدى، في السنة الماضية، عن استغرابه من ظاهرة أخذ مشورة ورأي رجال الدين وشيوخ القبائل في الشأن السياسي العراقي ومستقبل البلاد، وتهميش رأي المثقفين. فالمثقفون اعتقدوا أن صانعي القرار سيلجأون إليهم لرسم استراتيجيات صناعة مستقبل البلاد، غير أن الواقع أثبت أن صانعي القرار أولئك ليسوا بحاجة ماسة إلى المثقفين. وخلال أكثر من سنتين أعقبتا سقوط نظام صدام حسين أخفق المثقفون في خلق خطاب واضح يجعل منهم قوة ضغط (لوبي) مؤثرة في الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي!! وفشلوا في إيجاد مؤسسات ذات آليات عمل فعالة تضمن لهم الاستمرار، وفرض خطابهم، ومن ثم احترامهم على صانعي القرار. وبالمقابل وجد المثقفون أنفسهم بلا قاعدة اجتماعية تتبنى وتدعم خطابهم، وقد تبين أن شريحة لا يستهان بنسبتها من المتعلمين (طلبة وخريجون) هم نتاج إما الثقافة الفاشية، أو الثقافة الأصولية، أو الثقافة العشائرية، وأنه ليس هناك حضور فاعل ومؤثر للثقافة الليبرالية واليسارية الديمقراطية والعلمانية بينهم.

إن لعبة خطرة، ذات طابع سياسي، خفية ومعقدة، لها امتداداتها الإقليمية والدولية، تتواصل أشواطها وفصولها، في الوقت الحاضر، على أرض العراق.. تتداخل فيها الحسابات والرهانات والتأثيرات وتتصادم. والفرد العراقي، المغلوب على أمره، والجاهل لأبعاد تلك اللعبة ومساراتها يكون هو الضحية في نهاية المطاف. وحال المثقف، بهذا الصدد، لا يختلف كثيراً عن حال الإنسان العادي (إذا صح لنا أن نقوم بمثل هذا الفصل بين الإنسان العادي والمثقف لأسباب إجرائية تقتضيها طبيعة هذا المقال). والمثقف العراقي المسيّس بحكم الضرورة يسعى للدخول في اللعبة من دون أن يعرف قواعدها كلها، والقوى الداخلة فيها، وأهدافها النهائية. وفي أحسن الأحوال لن يجد له فيها مكاناً إلاّ على الهامش، أو في موضع الاحتياط.. إنها لعبة جديدة عليه، وهو بحاجة إلى مدة تأهيل طويلة. والمفارقة أنه خلال تلك المدة ربما تكون اللعبة قد انتهت، أو أوشكت على الانتهاء، أو اتخذت مسارات وأبعاداً وغايات أكثر تعقيداً، فماذا عليه أن يصنع عندئذ؟.إن ما يحدث، في حقيقة الأمر، ليس مجرد إعادة ترتيب للبيت السياسي/ الاقتصادي العراقي، أو حتى الإقليمي فحسب، وإنما إعادة ترتيب على جبهة أخرى، أخطر، هي جبهة الثقافة.. جبهة القيم والقناعات والأفكار والمفاهيم والتصورات، فكيف تكون المحصلة إذا ما كان المثقف نفسه غائباً عن... أو مهمشاً في هذا الميدان الذي ينبغي أن يكون ميدانه هو، لا غيره.

لا سبيل للخلاص في بلاد مثل بلادنا، وفي زمان مثل زماننا من اشتباك (السياسي) بـ(الثقافي). فـ(السياسي) يكاد يسم كل شيء بميسمه، ويطبعه بطابعه، ويطوعه لمقتضياته بما فيه (الثقافي). والمثقف الذي رهانه (الثقافي) ومسؤوليته (الثقافي) يبدو وكأنه عاجز عن مجاراة (السياسي)، أو حتى الاستقلال عنه. وفي هذا المأزق يتلكأ مشروعه ويتخبط، إن كان لايزال يعتقد بوجود مثل هذا المشروع.. إن مأزقه وورطته يكمنان في كون أن رأس ماله هو رؤيته وإنتاجه لخطاب متلبس بتلك الرؤية، في وقت تضطرب فيه الرؤية، ويعسر إنتاج الخطاب.

كان المثقف العراقي إزاء خندق الفاشية يعرف أصول وقواعد اللعبة، ولقد ساعد لغطه وثرثرته في إنهاك تلك الفاشية وتقويض وتسفيه خطابها، غير أن نوعاً آخر من الفاشية يبرز الآن، لا قبل للمثقف به.. نوع آخر، أخطر وأدهى وأقوى.. نوع يدعي احتكار الحقيقة والمقدس، وتبعاً له يريد احتكار الواقع والمستقبل. ويبني موجبات سلطته على أسس معرفية يعتقدها قارة ونهائية، وغير قابلة للنقاش.. هذا النوع لا يقف في خندق محدد مثلما كانت الفاشيات السابقة وإنما ينبث من كل مكان.. من كل حارة وشارع ومعبد، مستفيداً من مناخ الجهل والفقر والاحتلال، ومستثمراً إياه من منظور إستراتيجي، وأحياناً بدعم استخباراتي وإعلامي لا يستهان به، تقف وراءه مؤسسات ودول. فالمثقف يواجه اليوم تحدياً يتمثل بالخطاب المضاد لخطابه.. خطاب يدعي أنه يستعير مشروعيته من الموروث والأصل والتاريخ، فهو - في نظر نفسه - حارس للهوية والمقدس، في مواجهة الآخر/ الغربي الذي يريد الفتك بالهوية والمقدس وبالموروث والأصل والتاريخ.. إن الحضور الإشكالي للآخر يخلق شروطاً تاريخية ملائمة ومشجعة لإنعاش وتكريس الخطاب الأصولي المتطرف، وإزاء أمر كهذا يقف المثقف (الليبرالي-اليساري الديمقراطي-العلماني، وحتى القومي غير الفاشي، الذي يتبنى واحداً أو أكثر من المفاهيم الثلاثة آنفة الذكر) على أرضية هشة، أو على كف عفريت.

إن نمطاً آخر من المثقفين، ومن الثقافة يريد أن يتسيد اليوم، ويحتكر إنتاج الخطاب الثقافي والسياسي. وذلك المثقف الذي كان في يوم ما يسارياً أو ليبرالياً، وحتى قومياً علمانياً بات مهدداً في وجوده الجسدي/ الفيزياوي، والرمزي/ الثقافي.

وفي الأحوال كلها، تبقى هذه هي التجربة الأعظم في حياة المثقف العراقي المثقل بعبء مئات التجارب، ولن يخرج منها معافى إلاّ عبر فهمها أولاً، وقد يبدو الكلام عن صراع فكري بغيضاً اليوم في ظل ما يفترض أنه تقاليد ديمقراطية وليدة تقول بالحوار، لا بالصراع، غير أن الحوار نفسه في هذا السياق ينطوي . بهذه الدرجة أو تلك . على صراع. وأن الحوار يشترط أن تكون الأطراف المتحاورة مؤمنة بمبدأ الحوار وجدواه، لا من أجل أن يفرض أي طرف رأيه على الآخر بل ليستمع له ويسمعه ما في جعبته.. هذا الشرط غير متوفر بالمرة، كما أحسب في أجندة ومنطق بعض الأطراف التي تزعق اليوم بالصوت الجهوري وتصم آذانها عن سماع أصوات الآخرين، وتبحث عن الفرصة الذهبية والمناخ الملائم لقمع أي صوت آخر، ولتصفية ما عداها. وواحد من مآزق المثقف العراقي هو اضطراره لطلب الحوار مع من لا يؤمن به (سراً أو جهراً).

استثمرت القوى المعادية للديمقراطية في العراق الجو الديمقراطي، المنفلت إلى حد مقلق، إلى درجة أكبر بكثير من استثمار القوى الديمقراطية له. وفي إطار هذه المفارقة المؤلمة اكتشف المثقفون العراقيون مدى عجزهم وخيبتهم، ولا سيما حين اكتفوا بدور المتفرج، والثرثرة التي لا تجدي نفعاً، في مواجهة أطراف وقوى كانت سريعة في مبادرتها للاستحواذ على المواقع، ومن ثم التحكم بقدر المجتمع ومستقبله. كذلك أثبت المثقفون الدرجة المؤسية لافتقارهم إلى روح المبادرة والجرأة. وأيضاً القدرة على التمأسس، وتقديم برنامج عمل ناضج ومؤثر، في الأقل في ميدانهم الذي يعد من أخطر الميادين، حيث تجري التهيئة لفرض أفكار وقيم وأنماط سلوك متخلفة على المجتمع برمته، بالترغيب والترهيب، في الوقت نفسه، مع إقصاء فاضح للثقافة الليبرالية واليسارية الديمقراطية والعلمانية، ولقيم المجتمع المدني.

وإذا كان مثقفو الداخل (وهذا التمييز يضطرنا إليه المنطق الإجرائي والانتشار المكاني) قد عولوا على قدوم مئات آلاف المثقفين والخبراء التكنوقراط ليتحولوا بمجموعهم إلى قوة ضغط سياسية واجتماعية وثقافية يعتد بها، فإن ما جرى هو العكس تماماً، فمعظم مثقفي الخارج لم يأتوا، واكتفوا بإسداء النصائح والوصايا عبر البحار والمحيطات، في الوقت الذي خرج فيه مثقفون وخبراء تكنوقراط، من الداخل للمرة الأولى، وبات كثر آخرون منهم يفكرون بالخروج، والهرب من واقع غير آمن يتهددهم جسدياً ونفسياً وثقافياً، تاركين فرصة قيام مؤسسات مجتمع مدني ونشر قيم الحداثة والعقلانية والحرية، في مهب الريح.

لا أظن أن المثقف العراقي قد شعر بالعجز والسلبية والتيه في أي يوم مثلما يشعر به الآن، ولقد فقد توازنه إلى حد بعيد، بعدما طوح الواقع بأحلامه ليستحيل أمامه-هذا الواقع-إلى شبكة من الألغاز.. فالمثقف المعاصر في وضع لا يؤهله للإبداع والإنتاج الفكري والمعرفي، بسبب أن درجة اضطراب الواقع من حوله هي أكبر من قدرته على التكيف معها واستيعابها وفهمها.. وطالما أن المثقف لا يعرف ما جرى وما يجري حقيقة، بأبعاده كلها، فإنه سيخفق في إنتاج خطاب إبداعي ومعرفي رصين.. إن ملايين الكلمات المنطوقة والمكتوبة عبر وسائل الإعلام تفصح عن الحيرة والشك وعدم اليقين أكثر مما تفصح عن رؤية راسخة وواضحة وأكيدة.

وحتى في أجهزة الإعلام التي باتت تتشكل على أنقاض أجهزة إعلام الدولة التوتاليتارية المنهارة لم يجد المثقف لنفسه فسحة مؤثرة، في أحايين كثيرة، وقد يتحمل المثقف نفسه جزءاً من مسؤولية هذا الإهمال، لا المسؤولية كلها، ولا سيما مع فئة من أدعياء الفكر والثقافة أخذت تغزو المفاصل الإدارية والفنية لتلك الأجهزة، وتروج لخطابات فاشية محدودة الأفق تحاول تأصيل النعرات والولاءات العرقية والطائفية والمذهبية وقيمها على حساب قيم المواطنة والولاء للوطن. وإذا ما عرفنا أنه منذ عقود - حياة كاملة لجيل -قد تراجعت قيم المجتمع المدني وانكفأت مؤسساته أو تحطمت لتسود قيم الولاءات الضيقة وتتمأسس داخل كيان الدولة ذاتها. ودائماً عبر البطش بالطبقة الوسطى وثقافتها ودورها، يمكننا استخلاص أن المثقف بات بلا غطاء مؤسساتي، وبلا سند اجتماعي، وبلا ضمانات من أي نوع. ومع غياب إطار مؤسساتي وبرنامج فعال، وآليات عمل واضحة، ومن ثم مشروع متعين الأهداف، وخطاب متماسك، لن يكون بمقدورنا الكلام عن دور للمثقفين، وعن مشاركة في عملية إعادة ترتيب البيت السياسي والاقتصادي العراقي، وإعادة ترتيب حتى للبيت الثقافي نفسه، وعن قوة ضغط (لوبي) مادتها الثقافة العقلانية وقيم الحداثة والحرية وحقوق الإنسان، وأداتها المثقفون اليساريون الديمقراطيون والليبراليون والعلمانيون.

القصيدة الكردية

شعر : كريم شغيدل

كلنا كان يعرف أنك قادم من هناك...
البنات والأولاد الذين ادخروا الزهور والفراشات على اثوابهم
الطفل في مهده وجوقات الزرازير وأرغفة الخبز
الشيخ المقرفص في باب الدار واشجار الصفصاف وبقايا الثلج
على الصخور..
بقايا المواقد والعجائز اللواتي يغزلن الفراغ
الجميع كان بانتظارك
لم لم تنزل لمحبيك يانوروز؟
لم تركتهم يرحلون من دونك؟
كنت تجمع بقايا نتف الثلج وتهيئ الاغنيات
لم لم تمد يدك لصراخنا؟
أكنت ترقبنا من أعلى القمم؟
لم لم تنزل لقريتنا؟
لم لم تنزل وتمسح جباهنا مثل كل عام؟
هل حجبتنا سحب الدخان عنك؟
أم انك كنت في الأعالي مثل بطل مقيد بالسلاسل؟
ياه.. لقد ولى زمن الابطال المخلصين...
لم لم تنزل الى حلبجة في ذلك اليوم؟
ألان نافوراتِ الدم لوثت مواعيدنا؟!
أكنت خائفاً من عيوننا التي نطت من محاجرها؟
أم أنك ذهلت عنا؟
كما ذهلت عنا أمهاتنا؟
أتهت عنا كما تهنا عن اكواخنا وجبالنا؟
أم أنفلوك مبكرا؟
نوروز أتسمعنا؟
نحن بنات الكرد
حبيباتك يانوروز
أما كان بإمكانك ان تنزل؟
قبل موعدِ اختلاط الدم بالضباب؟
أكنت رافداً ساعتها؟
على بساط الريح؟
أم أن الخردل علق مقلتيك؟
على حبل الدم الصاعد نحو السماء
تعال والبس ثيابنا الجديدة
ثيابنا التي ادخرناها لقدومك
ولكن لاتاتِ وحدكِ..
اجلب معك شياهاً وأغناماً وماعزاً
أجلب معك أشجاراً وطيوراً وأزهاراً وفراشات
اجلب معك هواء ومياها وشمساً
ولاتنس يانوروز
اصطحب معك من بقي حياً من اطفال حلبجة

سنوات البحث عن روائي اسمه: ربيع جابر

محمد الحمراني

شدني اسم الروائي (ربيع جابر) المولود في لبنان عام ١٩٧٢ والفائز بجائزة الناقد للرواية عام ١٩٩٢ عن روايته (سيد العتمة) وربما من اهم اسباب اهتمامي بهذا الروائي هو تقارب عمرينا. ولكن كيف احصل على اعماله؟ فهي غير موجودة في شارع المتنبي ولا في المكتبات العراقية الاخرى، هكذا بدأت اسأل واتابع ما ينشر عنه في بعض الصحف العربية واغلبها متابعات وقراءات صحفية، كان ذلك في منتصف التسعينيات وكانت الحكومة العراقية تروج للروايات التعبوية، التي دعمها صدام بقوة، واعتبر الكثير من الكتب التي تأتي من الخارج، كتباً معارضة لسياسته حتى لو كان الكتاب يتحدث عن دكتاتور في موزمبيق او في احدى دول امريكا اللاتينية. ولكن مقاهي الانترنت انتشرت في بغداد فجأة لتضعنا على بعد دقائق من العالم ، وفي احد الايام ذهبت الى مقهى انترنيت القشلة القريب من وزارة الدفاع القديمة..بحثت عن اسم (ربيع جابر) فظهرت لي العديد من المقالات، التي كتبها فضلاً عن تلك التي كتبت عن اعماله ولكن هل انتهت الحكاية عند هذا الحد؟ وتأتي الاجابة: كلا فأنا حتى تلك اللحظة لم اقرأ أي عمل لهذا الكاتب الشاب ولكنني ومن خلال قراءتي للدراسات التي كتبت عنه، عرفت بانه يسير وفق ستراتيجية كتابية وضعها لنفسه. فاحد اعماله يحمل طابعاً فنتازياً بينما الآخر يتحدث عن الحرب اللبنانية، وفي رواية اخرى يتابع بطريقة الريبورتاج الصحفي اسباب انتحار طبيب نفساني. بعد اشهر رجعت الى مقهى انترنيت القشلة وتجولت بين عشرات المواقع الثقافية لعلي اعثر على صورة شخصية لربيع جابر ولكن انتهت محاولاتي بالفشل..ولكن لماذا اريد ان اشاهد صورة ربيع جابر؟ واقول في سري: ربما لأنني اؤمن بطرق التعامل القديمة التي تعطي للشكل اهمية مقاربة للمضمون، ولكن تعاملات مثل هذه اصبحت منبوذة ولا يمكن التعامل بها في عالم الرواية. عدم عثوري على صورة (لربيع جابر) جعلتني اتخيله مشوهاً في الحرب الاهلية، او يعيش في مكان اشبه بصندوق كبير يؤلف رواياته ويضعها في احدى زوايا ها الصندوق ولكن كيف بامكاني الوصول الى هذا الصندوق؟ في عام ٢٠٠٠ وفي جلسة مع بعض الادباء في مقهى الجماهير اخبرني القاص والباحث (قاسم محمد عباس) بأنه يقرأ رواية لربيع جابر بعنوان (كنت اميراً) وانه حصل عليها من صديق له مقيم في دولة الامارات، وبعد ثلاثة ايام وصلتني الرواية، قلت ربما هي مخطوطة سرقت من الصندوق الذي تخيلته. في هذه الرواية ادهشتني مخيلة الكاتب ودقة حركة الشخصيات، التي بدت مناخاتها بالنسبة الي اشبه بعالم الرسوم المتحركة فهي ذات مناخ كافكوي تضعنا امام موهبة الكاتب المميزة، لا اعلم في النهاية كيف اختفت هذه الرواية ولم يتحدث احد من اصدقائي المهتمين بمتابعة الرواية عنها. ومنذ ذلك التاريخ حتى اواخر عام ٢٠٠٣ لم اعثر على أية رواية لـ (ربيع) ومع انهيار الدكتاتورية ولدت فسحة من الحرية ودخلت الى العراق مئات الكتب، التي كنا نسمع عنها فقط، وفي إحدى جولاتي في شارع المتنبي عثرت على رواية (شاي اسود) وبعد ذلك بأسابيع وفي تقاطع باب المعظم عثرت على رواية (سيد العتمة) وقبل نهاية ٢٠٠٤ قرأت رواية (رالف رزق الله في المرأة) جلبها لي الروائي احمد سعداوي ، اذن صارت لدي فكرة للحديث عن اعمال ربيع جابر ولكن ربما هي آراء في غير اوانها افكر لماذا وصلتني ثلاثة من اعمال ربيع جابر المتفاوتة في الاصدار في عام واحد؟ فرواية (سيد العتمة) مضى على صدورها (١٤) عاماً. اما رواية (شاي اسود) فمضى على صدورها (٩) اعوام ومضى على صدور رواية (رالف رزق الله) نحو (٧) اعوام، اتساءل لماذا لم اقرأ هذه الروايات في سنوات صدورها؟ هل من اية خفية اخرجتها من الصندوق الذي تخيلته؟ وهل يؤمن ربيع جابر بان اعماله ستنام في صندوق؟ حين كتب في احدى رواياته ما يلي: (بعد سنوات طويلة، بعد مئات السنين ربما، قد يفتح احدهم هذا الصندوق ويحسبني الكاتب الذي الف كل ما في هذه الدفاتر ..اليس هذا ممكناً؟ قد يكون ممكناً فيما لو احرقت جميع المكتبات في العالم دفعة واحدة ولم ينتبه احد الى هذا الصندوق، عندئذ قد ينقذ صندوقي ذاكرة البشرية من الضياع..ترى هل يجب ان اقتاسم هذا الفضل العظيم مع بائع الخردة، الذي باعني هذا الصندوق المهم بعشرة دولارات فقط؟ هل هذا ما تساويه الذاكرة البشرية؟ سؤال: هل للكتاب زمن يجب ان يقرأ به وبعد ذلك يصبح جزءاً من تاريخ صاحبه؟ هذا ما لا يتفق عليه الكثير من الكتاب في العالم ولكن على من تقع مسؤولية عدم تنقل الكتاب العربي بين بلدان الخارطة العربية؟ هل يوجد كتاب شباب بعمر ربيع جابر لم تصلنا كتبهم؟ هذا ما لا يمكن الاجابة عنه الآن..ربما نحتاج الى خمسة اعوام او اكثر للإجابة على السؤال، وهل للحكومات العربية دور في جعل الكتب التي تصدر في بلدانها كتباً محلية؟ لقد كان لدكتاتورية صدام دور كبير في عدم وصول الكتب الجديدة الينا وعدم وصول كتبنا الى العالم. فهل هذه الصورة تنطبق على بعض البلدان العربية الان؟ ومتى يتحسس الكاتب العربي بانه ثروة وطنية؟ اننا حين نذكر غونتراغراس كأننا نذكر المانيا وعندما نذكر ماركيز كأننا نذكر امريكا اللاتينية بأكملها. فمتى نكف عن البحث في الصورة الشخصية بعد قراءة رواية ما، ونسعى للبحث عن خارطة بلد الكاتب. هل الحكومات العربية معنية بروايات مصرية ولبنانية وعراقية لكتاب شباب اختنقت في صندوق المحلية؟ احلم بان يصبح الكاتب العربي ثروة وطنية في بلده وان تحطم السيطرات الثقافية، ففي مفكرتي قائمة تحتوي على عشرة اسماء لروائيين جدد، يتوزعون على عواصم عربية مختلفة، فكيف بامكاني الحصول على اعمالهم الان؟